الفصل الثالث

خصائص الحياة العقلية

لقد ورد لفظ « العقل » فى القرآن الكريم (٤٩ مرة) [١] ، بالصيغة الفعلية التى تدل على الحدث مضافاً إليه زمن ، لتدل على الماضى ، أو الحاضر ، أو المستقبل [٢] .

وإن أكثر الصيغ وردت بالمضارع المقرون بالاستفهام « أفلا يعقلون » ، أو الترجى « لعلكم تعقلون » ، أو التقرير « لقوم يعقلون » أو النفى « لا يعقلون » [٣] .

كما جاء بصيغة الماضى ليدل على اللوم لمن لم يتأمل ويفكر تأملاً وتفكيراً مؤدياً للفهم ، والإدراك ، والاستجابة [٤] .

قال تعالى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [٥] .

أما المصدر فلم يرد فى القرآن الكريم ، وهو يدل على الحدث فقط ، دون أن يكون له زمن [٦] .

---

(١) محمد إسماعيل إبراهيم : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (مرجع سابق) ص ٣٥١

(٢) على رضا : المرجع فى اللغة العربية ، دار الفكر ، جـ ١ ص ٢٢

(٣) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٢٧

(٤) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٨٩ - ٩٠

(٥) البقرة : ٧٥

(٦) على رضا : المرجع فى اللغة (مرجع سابق) جـ ١ ص ٧٢

فالقرآن الكريم يدعو الإنسان إلى التأمل والتفكير المؤدى إلى الإدراك ، والفهم ، والاستجابة ، فهو يدعو إلى العلم والعمل به ، والعلم يحصل بالنسبة للإنسان بعد الولادة ، فهو يُولَد جاهلاً [١] .

قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٢] .

فالعقل هو مرتكز التعلم ، والعلم هو المعلومات التى تم تحصيلها ومعالجتها فيه بعد الولادة ، ولذا فالتكليف للإنسان إنما يكون بعد البلوغ ، الذى يكون فيه قد حصل على المعلومات الكافية لمعرفة الواجبات على الأقل .

عن عائشة عن النبى ﷺ قال : « رُفِعَ القلمُ عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصغير حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل » [٣] .

والتعلم والعلم إنما هما من خصائص العقل وحده ، رغم تدخل عوامل أُخرى مباشرة فى تحصيله ، وفى إمكانياته وفى توجيهه .

وإذا كان الإنسان له إدراكاته الحسِّية ، فهى كمقدمات ترسم تصورات تُوجهه إلى القيام بالدراسة والمقارنة ، لاستخلاص نتائج كمعانى مجرَّدة كالخير والشر ، والحُسن والقبح ، والفضيلة والرذيلة ... فيعلو الإنسان بعقله على المحسوسات [٤] .

ولقد كانت القضايا الفكرية التى وضعها القرآن الكريم أمام عقل الإنسان

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٤ ص ٢١٨٦

(٢) النحل : ٧٨

(٣) رواه الدارمى فى كتاب الحدود ، باب : رُفع القلم عن ثلاثة ، جـ ٢ ص ١٧١

(٤) الحارث بن أسد المحاسبى : العقل وفهم القرآن ، قدَّم له وحققه د . حسن القوتلى ، دار الكندى ودار الفكر ، ط ٣ ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٢٠٦

د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٩٩

د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١١٢ - ١١٣

متنوعة تقرع جميع جوانب النفس ، من أجل تحقيق هداية الإنسان التى هى هدفه [١] .

فنجد القضايا الفكرية التى تتعلق بالتنوع والتناقض بين المخلوقات .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَفِى الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِى الأُكُلِ ، إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ، انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ، إِنَّ فِى ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلاَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ [٥] .

كما نجد القضايا الفكرية التى تتعلق بمراحل الخَلق .

قال تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ [٦] .

---

(١) د . عبد الحكيم محمود : الإسلام والعقل ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ٣٠

د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٥٧ - ٦٤

د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٢٤ - ١٢٦

(٢) البقرة : ١٦٤ (٣) الرعد : ٤ (٤) الأنعام : ٩٩

(٥) المؤمنون : ٨٠ (٦) الطارق : ٥ - ٧

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (١) .

وكذلك نجد القضايا الفكرية التى تتعلق بالتاريخ البشرى (٢) .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِه مَا هَذِه التَّمَاثِيلُ الَّتِى أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُواْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِى ضَلاَلٍ مُبِينٍ * قَالُواْ أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ * قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلاَّ كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُواْ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُواْ بِه عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُواْ ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كَانُواْ يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُواْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُواْ إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلاَ يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَانْصُرُواْ آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِى بَرْداً وَسَلاَماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُواْ بِه كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ ﴾(٣).

وقال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِى إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِه ، أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ (٤) .

---

(١) المؤمنون : ١٢ - ١٤

(٢) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٧٤ - ٧٨

د . عبد المجيد النجار : العقل والسلوك فى البنية الاسلامية (مرجع سابق) ص ٩٩ - ١٠٠

(٣) الأنبياء : ٥٢ - ٧٠ (٤) آل عمران : ٦٥

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ، أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ (١) .

فالقرآن الكريم تطرق إلى القضايا الفكرية الكلية ، كما تطرق إلى القضايا الفكرية الجزئية دون أن يفصل بينهما ، لأن هنالك سُنناً وقوانين مشتركة وثابتة تدل على الإبداع والوحدة في الخلق (٢) .

فالقرآن الكريم جعل جميع القضايا الفكرية تحت تفكير الإنسان بما يوافق خصائصه ، بالنظر إلى القضايا الفكرية الكلية من جهة ، والقيام بتجزئتها مع الربط بينهما من جهة أُخرى ، ليكون لكل إنسان تأمل وتفكير حسب قدراته وإمكانياته .

قال تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَنْظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ، فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ، أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ، ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِىءُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ (٦) .

---

(١) يوسف : ١٠٩

(٢) د . محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٢٤

د . عبد المجيد النجار : العقل والسلوك في البنية الإسلامية (مرجع سابق) ص ٧٣ - ٨٨

(٣) الأعراف : ١٨٥ (٤) فصلت : ٥٣

(٥) العنكبوت : ٢٠ (٦) الغاشية : ١٧ - ٢١

فإذا كان الإنسان يعلو بعقله على المحسوسات ، فهو الذى يحس بالمشكلة وهو الذى يفرض الفروض لحلها ، كما يقوم بمناقشتها وانتخاب الحل الأمثل[١].

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً ، إِنِّى أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَءَا كَوْكَباً ، قَالَ هَذَا رَبِّى ، فَلَمَا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الآفِلِينَ * فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّى ، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّى هَذَا أَكْبَرُ ، فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[٢] .

فالإنسان لديه القدرة على التنبىء والتوقع للنتائج قبل وقوعها ، واستحضار ما ليس فى الواقع ، مما يُساعد الإنسان على إجراء المقايسات فى خياله ، مما يجنبه أن يكون ميدان للتجربة ، أو يضيق هذا الميدان[٣] .

« وقيل لعمرو بن العاص : ما العقل ؟ فقال : الإصابة بالظن ، ومعرفة ما يكون بما قد كان .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من لم ينفعه ظنه لم ينفعه يقينه »[٤].

وهكذا فإن المعلومات التى يُخزِّنها الإنسان فى عقله هى آلته ، بل ويقارن

---

(١) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٢٧ - ١٣١

د . على عبد العظيم : فلسفة المعرفة فى القرآن الكريم ، مجمع البحوث الإسلامية ، ١٩٧٣ م ص ٢٤٤ - ٢٥١

(٢) الأنعام : ٧٤ - ٧٩

(٣) د . سيد عبد الحميد مرسى : النفس البشرية (مرجع سابق) ص ٤٦ - ٤٧

د . محمد عبد الرحمن مرحبا : من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ، دار عويدات ، باريس ، ط ٢ ، ١٩٨١ م ، ص ٢٤ - ٢٥

(٤) أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى : العقد الفريد ، تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، جـ ٢ ص ١٠٥

بينها للخروج بمعلومات جديدة ليضيفها إلى معلوماته القديمة ، وكل إنسان يقوم بذلك ، فيستمر الكشف عن حقائق ومعلومات جديدة ، فيستفيد من خبراته ومعلوماته ، ومعلومات وخبرات الآخرين ، وهذا هو أساس التقدم العلمى والرقى الإنسانى [١] .

* * *

• الحواس والعقل :

إن الحواس الخمس تُعتبر هى نوافذ العقل على العالَم الخارجى المحسوس ، الذى يمثل له ميدان تأمل وتفكير ، والذى يؤدى به إلى إدراك للمعانى المجردة .

ولذلك فإن التفكير والتأمل الإنسانى له حدوده التى لا يتعداها إلا عن إيمان وإلهام ، وهو إدراك ما تقع عليه حواسه وليس ما تقع عليه حواسه كل الحقيقة ، فقد تقع الحواس على آثارها دون حقيقها كالكهرباء الذى أدرك الإنسان آثاره دون إدراك حقيقته [٢] .

وإن إدراك الإنسان إلى أن هنالك حقيقة غائبة ، يؤمن بها ، من إدراك آثارها ، إنما هو من التفكير المجرد للمعانى ، ولذلك يمكن له الاستدلال على الخالق من المخلوق [٣] .

كما أن الخيال عند الإنسان يُعتبر ميداناً رحباً لإجراء التجارب والملاحظات

---

(١) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٢٤
سميع عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ٦٥
أبو حامد الغزالى : إحياء علوم الدين ، عالم الكتب ، دمشق ، جـ ١ ص ٧٦ ، ٧٨

(٢) د . عبد الحليم محمود : الإسلام والعقل (مرجع سابق) ص ١٨ - ١٩
د . محمد عماد الدين إسماعيل : المنهج العلمى وتفسير السلوك (مرجع سابق) ص ١٠٨
د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٣٩٩

(٣) الحارث بن أسد : العقل وفهم القرآن (مرجع سابق) ص ١١٦
سميع عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ٥٢ - ٥٥

المتوقعة ، للتنبىء بنتائجها ، ولكنه لا ينفصل كثيراً عن المحسوسات ، وإنما نجد أنها ترتسم فى تفكيره [١] .

* * *

● الحواس الخمس :

١ - السمع :

لقد ورد لفظ « السمع » فى القرآن الكريم (١٢ مرة) [٢] ، وكثيراً ما يرد مقروناً بلفظ « البصر » من تقدمه عليه ، ولعل ذلك راجع إلى كونه يقوم بوظيفته المستمرة بعد الولادة مباشرة دون انقطاع ، وفى جميع الأوقات ، بخلاف البصر الذى يقوم بوظيفته بعد الولادة بزمن ، مع انقطاعه وقت النوم ، وانقطاع الضوء ، كما أن السمع أهم فى عملية الإدراك الحسى وبالذات فى موضوع التعلم [٣] .

قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِى أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ، قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ، قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾ [٥] .

٢ - البصر :

لقد ور لفظ « البصر » فى القرآن الكريم (٤٨ مرة) ، وبصيغة الجمع (٣٨ مرة) [٦] .

---

(١) جان برنيسى : المخيلة ، ترجمة الدكتور خليل الجر ، المطبعة البوليسية ، جونيه ، ١٩٧٧ م ص ٨٨ - ٨٩

(٢) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٣) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١١٥ - ١٦٦
د . خالص الحلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢٠٣

(٤) الملك : ٢٣ (٥) المؤمنون : ٧٨

(٦) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ١٢٢ - ١٢٣

فأكثر الصيغ بصيغة الجمع ، ولعل ذلك راجع إلى أن الإنسان له عينان يرى بهما ، ولكنه يرى بكل عين جزءاً من المشهد الذى أمامه كما أنه يستطيع أن يرى الكثير من المشاهد فى وقت واحد بوضوح ، ولكنه لا يستطيع أن يسمع الكثير من الأصوات بوضوح ، كما أنه لا يستطيع أن يرى إلا أمامه بينما يسمع الأصوات من جميع الجهات [١] .

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ، قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٣] .

كما أن الإدراك قد لا ينطبق على حقيقة الشىء المرئى كعماء الألوان وخداع البصر [٤] .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى خداع البصر .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ، وَاللَّهُ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ [٥] .

٣ - حاسة اللّمس :

لقد أثبتت الدراسات العضوية الحديثة أن البشرة تنقسم إلى مربعات صغيرة ، تحتوى على خلايا حسية كثيرة ومتنوعة ومتخصصة لاستقبال أنواع معينة من الإحساسات ، فهناك الخلايا الحسية المختصة بالبرودة ، وكذا المختصة بالحرارة ،

---

(١) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١١٦ - ١١٧
د . خالص الحلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢١٦

(٢) السجدة : ٩ (٣) النحل : ٧٨

(٤) عبد الرحمن العيسوى : لماذا أنا مسلم ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٣٧٣ هـ ، ط ٤ ص ١٨
د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٢١

(٥) النور : ٣٩

وكذلك المختصة بالألم .. فإذا زالت هذه الخلايا الحسية بطل الإحساس [١] .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى أن موقع الإحساس إنما هو بالبشرة وأن زوالها فيه زوال للإحساس .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [٣] .

٤ - ٥ - حاسة الشم والذوق :

إن علماء الدراسات العضوية يجعلون الإحساسات الجلدية تشمل حاسة الشم والذوق واللمس لاتفاقها فى كثير من الخصائص ومنها الخلايا الحسية المتنوعة والمتخصصة كما سبق [٤] .

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ، لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ [٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ [٦] .

فالحواس هى وسيلة التحصيل والتعلم ، وهذه الحواس محدودة ، فإدراكات الإنسان محدودة ، والإنسان دون هذه الحواس عالم مظلم لا يُدرك حدوده ،

---

(١) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١١٧ - ١١٨
د . خالص حلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) ص ٣٣٣

(٢) النساء : ٥٦ (٣) الأنعام : ٧

(٤) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١١٧ - ١١٨

(٥) يوسف : ٩٤ (٦) النحل : ١١٢

بدليل أن سؤال الميت فى القبر إنما يكون له بعد عودة روحه إلى جسده كما سبق، فالتعذيب والتنعيم له إنما يكون عن طريق الحواس .

* * *

• العوامل المؤثرة على العمليات العقلية :

(أ) الدوافع والخبرات الانفعالية

إن الدوافع الفطرية العضوية والنفسية تُعتبر قوة ضاغطة على الإنسان توجهه لإشباعها [١] ، كما أن الخبرات الانفعالية تُعتبر دوافع نفسية مكتسبة ، فالدوافع الفطرية والمكتسبة لها دور فى توجيه وتوظيف العمليات العقلية [٢] .

عن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « كل مولود يُولَد على الفطرة ، فأبواه يُهَوِّدانه ، أو يُنَصِّرانه ، أو يُمَجِّسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هل ترى فيها جدعاء » [٣] .

وإن توجيه السلوك ليس آلياً ، ولكنه عن إرادة واختيار من قِبَل الإنسان ، مما يجعل للعمليات العقلية دوراً كبيراً فى توجيه السلوك وتقييمه عن طريق إدراك المشكلة ، وجمع البيانات حولها وفرض الفروض لحلها ومناقشتها ، والأخذ بالحل الأسلم كما سبق .

فإذا كانت الخبرات الانفعالية إيجابية كانت مساعدة للعقل فى عملية إدراكه للمشكلة ، وما يتبع ذلك من عمليات عقلية إلى أن يصل إلى انتخاب الحل الأمثل [٤] .

---

(١) د . عبد الرحمن عيسوى : علم النفس الفسيولوجى (مرجع سابق) ص ١٤٧
أحمد يوسف : أسس التربية وعلم النفس (مرجع سابق) ص ٢٦ - ٣٠
(٢) سميح عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ١٥٠
د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٢٧ - ١٣١
(٣) رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب : ما قيل فى أولاد المشركين ، جـ ٢ ص ١٠٤
(٤) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٤٤٢ - ٤٤٤
د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٢٧ - ١٣١

فإذا كانت هناك خبرات انفعالية سلبية ، فإنه حسب سلبية هذه الخبرات تكون درجة الصعوبة فى مجابهة العقل فى التقييم والتوجيه والتوظيف للأفكار ، مما يكون لها أثر فى درجة إدراك حقيقة الشىء كالكُره والحب السلبى ... فإنهما يجعلان الإنسان غير متهىء نفسياً للاستماع سماع قبول فيه تدبر وتفهم [١] .

قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [٣] .

كما أن للإنسان أفكاره القديمة ، وله تفاعلاته معها ، مما يكون لها أثر فى تحريف عملية الإدراك والفهم إذا كانت هذه الأفكار خاطئة [٤] .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [٥] .

وقال تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ * وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [٦] .

ولذلك نجد أن الإدراك والفهم الواعى للقرآن الكريم من قِبَل المسلمين ، يختلف عن الإدراك والفهم له من قِبَل المشركين ، كما أن المشركين الذين أسلموا

---

(١) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٣٩
د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٤٤٢ - ٤٤٤

(٢) الجاثية : ٢٣ (٣) محمد : ١٤

(٤) الحارث بن أسد المحاسبى : العقل وفهم القرآن (مرجع سابق) ص ٢١٣
د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١٣٣ - ١٣٥
سميع عاطف الزين : لمن الحكم (مرجع سابق) ص ١٥٨

(٥) البقرة : ١٧٠ (٦) الزخرف : ٢٢ - ٢٣

يختلف إدراكهم وفهمهم له عن فهمهم وإدراكهم له قبل إسلامهم [1] .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُواْ لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ، ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ، قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ هُدًى وَشِفَاءٌ ، وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ، أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾[2] .

(ب) القدرات العقلية والإدراكات الحسية :

إن القدرات العقلية الكامنة فى الذات تختلف من إنسان لآخر ، فنجد الذكى ، كما نجد الأبله والمعتوه ، وذلك للاختلاف فى درجة الذكاء [3] .

وإن إدراكات الإنسان حسية محدودة بحدود المادة ، ولذا ليس له القدرة على إدراك ما لم تقع عليه حواسه كالغيبيات ، وإن كان له إدراك بعض منها عن طريق آثارها كالكهرباء ، ولكن ليس له إدراك حقيقته [4] .

ولذلك فإن الإدراكات الحسية ، لا تبتعد كثيراً عن المادة ، حتى فى موضوع الخيال نجد أنه لا ينفصل كثيراً عنها ، ولذلك جاء فى القرآن الكريم فى الأسماء والصفات لله تعالى قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [5] .

فالعقل والحواس وسيلتان يُستعان بهما على الإدراك والمعرفة ، ولكنهما ليستا كافيتين فى الوصول إلى حقيقة ما لم تقع عليه الحواس بيقين [6] .

---

(١) د . محمد على الجوزر : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ٩١ - ٩٢
د . محمد عثمان نجاتى : علم النفس فى حياتنا اليومية ، دار القلم ، الكويت ، ط ٨ ، ١٩٨٠ م ، ص ٣٢٣ - ٣٢٤

(٢) فصلت : ٤٤

(٣) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٤٥ . - ٤٥١

(٤) عبد الرحمن العيسوى : لماذا أنا مسلم (مرجع سابق) ص ١٨
د . محمد عماد الدين إسماعيل : المنهج العلمى وتفسير السلوك (مرجع سابق) ص ١٠٨ - ١٠٩
عبد الكريم الخطيب : الدين (مرجع سابق) ص ٣٨

(٥) الشورى : ١١

(٦) د . محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس (مرجع سابق) ص ١١٣

ولهذا كان الوحى الإلٰهى للإنسان الذى يعطيه اليقين فى الغيبيات ، وإن كان لبعضها أدلة وآثار وعلامات تدل عليها [١] .

قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ، أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ، ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِىءُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٣] .

ولذلك فالعوامل المؤثرة على العمليات العقلية كثيرة ، ومعقدة فكان الوحى هداية للإنسان عن طريق رسم التصورات والغايات العليا ، والمنهج المؤدى إليها ، والصيانة المستمرة له .

* * *

• التشريع هداية للعقل :

لقد سبق إيضاح العوامل المؤثرة فى العمليات العقلية ، وأن الإنسان بحاجة إلى الشعور بالواجب [٤] - فى مجال توظيف السلوك - الذى يكون له أثر فى تنظيم وتوجيه دوافعه وانفعالاته وخبراته ، وأن التصور للغايات العليا ، لا يكفيه لرسم منهجه الذى له أثر فى تكوين خبراته الانفعالية ، وإنما لا بد من رسم المنهج المؤدى إلى هذه التصورات الغائية العليا .

وبما أن الإنسان يتمتع بالحرية والإرادة والاختيار ، وهو خليفة لله فى أرضه ، فإن له حركيته التى لها أثر فى هذا المنهج ، ولذا لا بد من صيانة هذا المنهج بالجانب التعبدى كخط دفاعى أول ، والعقوبات كخط دفاعى ثان [٥] .

---

(١) د . عبد الحكيم محمود : الإسلام والعقل (مرجع سابق) ص ٢٤ ، ٢٧ - ٢٨
د . محمد عماد الدين إسماعيل : المنهج العلمى وتفسير السلوك (مرجع سابق) ص ١٠٨ - ١٠٩

(٢) فصلت : ٥٣ (٣) العنكبوت : ٢٠

(٤) محمد مظهر سعيد : علم النفس الإجتماعى (مرجع سابق) ص ٥٠

(٥) د . فاخر عاقل : علم النفس (مرجع سابق) ص ٤٤٢ - ٤٤٤

قال تعالى : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ، إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٢) .

فالتشريع السماوى إنما هو هداية للعقل الإنسانى (٣) من أن يتأثر بالعوامل السلبية التى لها أثر عليه من جهة ، وتكريم له من أن يكون محطة للتجارب من جهة أخرى .

وإن التشريع الإلهى يوافق العقل الإنسانى ، ولا يعارضه (٤) ، إلا لعوامل سلبية يمكن له إدراكها ولو بعد حين ، وذلك لأن ما يمكن للإنسان إدراكه بحواسه يتفق فيه العقل والشرع إلا إذا كان إدراكه للدلالة الشرعية أو العقلية أو لإحداهما منقوصاً ، وأما ما لم تقع عليه حواسه فلا يمكن له إدراك حقيقته إلا بإيمان فى وجوده حقيقة ، عن طريق وحى إلهى أو إدراك لآثارها ، أو لهما .

ولذلك يجب تقديم الشرع على العقل وهو ما ذهب إليه أهل السُنَّة والجماعة ، بخلاف ما ذهب إليه المعتزلة (٥) .

وإن قضية الصراع بين أهل السُنَّة والجماعة والمعتزلة فى موضوع العقل إنما

---

(١) العنكبوت : ٤٥ (٢) البقرة : ١٧٩

(٣) الحارث بن أسد المحاسبى : العقل ومفهوم القرآن (مرجع سابق) ص ٢١٨ - ٢١٩

د . عبد الحليم محمود : الإسلام والعقل (مرجع سابق) ص ١٨ - ٢١

ابن القيم : مدارج السالكين ، تحقيق محمد حامد الفقى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٣٩٢ هـ ، جـ ١ ص ٢٢

(٤) د . عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الإنسان (مرجع سابق) ص ١١٣ ، ١١٦ - ١١٧

(٥) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ١٨٣

د . عبد الحليم محمود : الإسلام والعقل (مرجع سابق) ص ١٩ - ٢٠

الحارث بن أسد المحاسبى : العقل ومفهوم القرآن (مرجع سابق) ص ١٣٦

يعد إلى الاتجاه الفلسفى الذى أخذ به المعتزلة من الفلسفة اليونانية التى تقول بالعقل الأول مما لا يتفق مع روح الإسلام ، اعتماداً على أحاديث ضعيفة أو موضوعة عند أهل الجرح والتعديل .

ولعل أول كتاب فى « العقل وفضله » ما يُنسب إلى ابن المحبر [١] ، وهو الذى يعتمد عليه المعتزلة فى الكثير من الأدلة ، وقد قال الخطيب البغدادى عن هذا الكتاب : حدثنى محمد بن على الصورى قال : سمعت عبد الغنى بن سعيد عن الدارقطنى قال : كتاب العقل وضعه أربعة ، أولهم ميسرة بن عبد ربه ، ثم سرقه منه داود بن المحبر ، فركبه بأسانيد غير أسانيد ميسرة ، وسرقة عبد العزيز بن أبى رجاء ، فركبه بأسانيد أخرى ، ثم سرقه سليمان بن عيسى السجزى فأتى بأسانيد أخرى [٢] .

كما قال علماء الجرح والتعديل عن ابن المحبر [٣] :

قال الذهبى : إنه صاحب « العقل » وليته لم يصنفه .

وقال الدارقطنى : متروك .

وقال أبو حاتم : ذاهب الحديث ، غير ثقة .

وقال ابن معين : « ما زال معروفاً بالحديث يكتب الحديث ثم تركه ، وصاحَب قوماً من المعتزلة فأفسدوه وهو ثقة » وقال : « كان داود ثقة ، ولكنه جفا الحديث ثم حدَّثَ » [٤] .

---

(١) داود بن المحبر بن قحذام أبو سليمان البصرى ، توفى سنة ٢٠٦ هـ

(٢) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، مطبعة الخانجى ، القاهرة ط ١ ، ١٣٤٩ هـ ، جـ ٨ ص ٣٦٠

(٣) الذهبى : ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ، تحقيق على محمد البجاوى ، دار المعرفة ببيروت ، جـ ٢ ص ٢٠

محمد ناصر الدين الألبانى : الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، المكتب الإسلامى ، ط ١ ، ١٣٩٩ هـ ص ١٣

أحمد بن على بن حجر العسقلانى : تقريب التهذيب ، دار المعرفة ، ببيروت ، ط٢ ، ١٣٩٥ هـ ، جـ ١ ص ٢٣٤

(٤) الذهبى : ميزان الاعتدال فى نقد الرجال (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٢٠

ابن أبى الدنيا : العقل وفضله ، تحقيق محمد زاهد الكوثرى ، مكتب نشر الثقافة الإسلامية ص ٣ - ٤

ومن الأدلة التى أخذ بها المعتزلة من كتاب « العقل وفضله » لتأييد مذهبهم حديث « أول ما خلق اللّه العقل قال : له أقْبِل ، فأقْبَل ، وقال له : أدْبِر ، فأدبَرَ ، قال : ما خلقتُ خلقاً أكرم علىَّ منك ، فيك آخذ ، وبك أعطى ، وبك الثواب ، وبك العقاب ... » .

ولقد روى ابن أبى الدنيا فى كتابه « العقل وفضله » عن ابن المحبر [١] ، كما روى هذا الحديث بإسنادين بلفظ آخر وهما : « لما خلق اللّه العقل قال له : أقْبِل فأقْبَل .. » [٢] و« لما خلق اللّه تعالى العقل قال له : قم ، فقام .. »[٢].

وهذا يؤيد قول ابن معين : « ما زال معروفاً بالحديث يكتب الحديث ثم تركه ، وصاحب قوماً من المعتزلة فأفسدوه ... » وقوله : « جفا الحديث ثم حدُّث » .

وإن أفضل ما قيل عن هذه الأحاديث الثلاثة السابقة ، أنها أحاديث ضعيفة [٣] .

كما أن قوله : « قال : ما خلقتُ خلقاً أكرم علىَّ منك » فى مقام رواية ابن المحبر يدل على أن هنالك خلقاً قبله لغيره ، وهذا لا ينطبق عليه اصطلاح « العقل الأول » عند الفلاسفة ، وهو ما ليس قبله مخلوق [٤] . ولقد كان للمبالغة فى العقل عند المعتزلة أثر كبير فى إعطائه الحرية المطلقة ، والاختيار الكامل ، والمعرفة التى تسبق الشرع ، ووجوب الهداية على الإنسان بالعقل ، فهو مكلّف عندهم قبل ورود التبليغ [٥] .

وذلك مردود لما يأتى :

---

(١) ابن أبي الدنيا : العقل وفضله (مرجع سابق) ص ١١

(٢) المرجع السابق : ص ١٢

(٣) محمد ناصر الدين الألبانى : الأحاديث الضعيفة والموضوعة (مرجع سابق) ص ١٣

(٤) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مكتبة المعارف بالرباط . جـ ١٨ ص ٣٣٧

(٥) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ١٥٨ - ١٥٩

١ - لو كان الأمر كذلك لكان القائد الحقيقى للإنسان العقل لا الكتب المقدسة ، كما أن التكليف إنما يكون بعد التبليغ وهو ما ذهب إليه أهل السُنّة والجماعة [١] .

قال تعالى : ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ، وكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِه ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُ عَلَيْهَا ، وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [٣] .

٢ - إن المعتزلة يُحمِّلون الإنسان فوق طاقته ، وقدراته ، وإمكانياته ، لأن قضية الخير والشر ، وقضية الحُسن والقُبح ، إنما هما من القضايا النسبية [٤] .

٣ - إن العقل وإن اكتشف شيئاً من الحقيقة ، فلا يرى أنه ملزم بها إلا بإيمان بمبدإ له حق الاحترام [٥] .

٤ - إن هناك عوامل كثيرة مؤثرة فى العمليات العقلية تحيط به كالدوافع الفطرية ، والخبرات الانفعالية ، وطبيعة الانفعالات ، لتؤثر عليه تأثيراً مباشراً وغير مباشر ، فالإنسان ليس آلياً .

---

(١) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب . (مرجع سابق) ، ص ١٨٣
د . عبد الحليم محمود : الإسلام والعقل ص ١٧ ، ١٩ - ٢٠
فخر الدين الرازى : التفسير الكبير (مرجع سابق) جـ ١١ ص ١١٢ - ١١٣
ابن القيم : مدارج السكاكين (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢١٧

(٢) النساء : ١٦٥ (٣) الإسراء : ١٥

(٤) د . عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس البشرية (مرجع سابق) ص ١٨٥
د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ١٦٢

(٥) المرجع السابق : ص ١٨١ ، ١٨٣

٥ - إن النزعة العقلية هذه لا تتناسب مع مقام العبودية للّه تعالى ، كما تجعل للعقل حق السيطرة والتحكيم على النص الشرعى [١] .

قال تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٢] .

وقال تعالى ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ هُدىً وَشِفَاءٌ ، وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِى أَذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ، أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ، أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴾ [٤] .

٦ - إن العودة إلى قصة خلق آدم عليه السلام ، وأن خلقه إنما كان بأمره تعالى « كن » فكان ، وليس فيه إشارة إلى هذا الجدل [٥] الذى يُذكّر إلى حد ما بالخلاف عند الماركسيين فى أيهما أسبق فى الوجود : المادة أو الفكر [٦] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٧] .

٧ - إن ما يراه المعتزلة من إعطا الحرية المطلقة ، والاختيار الكامل للإنسان ، دفعاً لنسبة الظلم للّه تعالى ، وأن الخير من إرادة اللّه ، وأن الشر من إرادة

---

(١) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ١٥٩
د. عبد الحليم محمود : الاسلام والعقل (مرجع سابق) ص ٢٣
الحارث بن أسد المحاسبى : العقل ومفهوم القرآن (مرجع سابق) ص ٢٧١ - ٢٧٤
(٢) البقرة : ١٥١ (٣) فصلت : ٤٤ (٤) الجاثية : ٢٣
(٥) د. محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ١٦٦
(٦) المرجع السابق ص ١٦٦
م . روزنتال وآخرون : الموسوعة الفلسفية (مرجع سابق) ص ٣٣٦
(٧) آل عمران : ٥٩

الإنسان ، فإنه يوقع فى المعارضة بين إرادة الخالق ، وإرادة المخلوق [١] .

قال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ ﴾ [٣] .

فإن لله تعالى إرادة كونية ، وإرادة شرعية ، وللمخلوق إرادة واختيار لا تخرج عن إرادته تعالى ، لأن قضية الخير والشر ، وقضية الحُسن والقبح ، إنما هى أمور مخلوقة لله تعالى ، والإنسان فاعل مختار بإرادة خلقها الله فيه ، والله مُطلّع على إرادته واختياره اطلاعاً أزلياً كان لهما الإقرار فى الوجود ، كما أن الانسان يقع له ما لم يرده ، ولم يختره جزاءً أو امتحاناً [٤] .

قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِى الأَرْضِ وَلاَ فِى أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [٥] .

وقال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [٦] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [٧] .

* * *

● العقل .. هو مناط التكليف :

لقد سبق القول بأن ما يكتشفه العقل من حقائق ليس لها صفة الإلزام إلا

---

(١) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ١٦٤

(٢) الإنسان : ٣٠ (٣) التكوير : ٢٩

(٤) عبد العزيز بن ناصر الرشيد : التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ، مطبعة الإمام بمصر ، ص ٦٦

د . عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الانسان (مرجع سابق) ص ١٤٧ - ١٤٨

(٥) الحديد : ٢٢ (٦) التغابن : ١١ (٧) البقرة : ١٥٦

بالتكليف الشرعى ، والعقل هو وسيلة للإدراك والمعرفة والعمل ، وإن العقل ينسجم مع العقيدة الإسلامية ، بل وتفتح له أبواب البحث وتستميله وتدفعه بأن يقوم بوظيفته .

وإن القرآن الكريم يذكر العقل فى مقام التعظيم ، والإشارة إلى العمل به وتحكيمه [١] .

قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ، أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى البَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[٣] .

وإن الإنسان له الحرية والاختيار فى أن يكون خليفة لله تعالى فى أرضه متحملاً مسؤولياته ، لتلتقى إرادة الإنسان مع إرادة الخالق الشرعية فى إحلال النظام ، أو أن يكون منهجه هواه ، مكتفياً بدوافعه ، وانفعالاته ، وخبراته كالحيوان [٤] .

قال تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٥] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ البُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ [٦] .

---

(١) د . عبد الغنى عبود : الله والإنسان المعاصر (مرجع سابق) ص ١٣٤ - ١٣٥
أبو حامد الغزالى : إحياء علوم الدين (مرجع سابق) جـ ١ ص ٧٣

(٢) فصلت : ٥٣ (٣) البقرة : ١٦٤

(٤) د . عبد الغنى عبود : الله والإنسان المعاصر (مرجع سابق) ص ١٣٥
حسن صعب : الإسلام والإنسان (مرجع سابق) ص ٦٥

(٥) البقرة : ١٥١ (٦) الأنفال : ٢٢

وقال تعالى : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ، إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ (١) .

وإن العقل حقيقة باطنية يحدث نموه بالتدرج (٢) ، ولذلك كان البلوغ من شروط التكليف ، والتكليف ساقط عن غير العاقل ، لأحد الأسباب التالية (٣):

(أ) حداثة السن الذى يجعله يفتقر إلى الخبرات التى تؤهله إلى التفكير السليم .

عن عائشة عن النبى ﷺ قال : « رُفِعَ القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصغير حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل » (٤) .

وعن عائشة زوج النبى ﷺ قالت : « لم أعقل أبوىَّ إلاَّ وهما يدينان الدين » (٥).

(ب) عدم القدرة على الإدراك والفهم لعوامل كامنة فى الذات ، أو فى القدرات العقلية كالأبله ، والمعتوه ، والمجنون .

عن عبد اللّه بن بريدة عن أبيه أن ماعز بن مالك الأسلمى أتى رسول اللّه ﷺ فقال : يا رسول اللّه ؛ إنى ظلمتُ نفسى وزنيتُ ، وإنى أُريد أن تطهرنى ... فأرسل رسول اللّه ﷺ إلى قومه فقال : « أتعلمون بعقله بأساً تنكرون فيه شيئاً » ؟ ، فقالوا : ما نعلمه إلا وفى العقل من صالحنا فيما نرى ... » (٦) .

وعن عائشة عن النبى ﷺ قال : « رُفِعَ القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصغير حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل » ، وفى رواية : « وعن المعتوه حتى يعقل » (٧) .

---

(١) الفرقان : ٤٤

(٢) د . خالص الحلبى : الطب محراب الإيمان (مرجع سابق) جـ ١ ص ١٨٤

(٣) د . محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب (مرجع سابق) ص ١٤٢ - ١٤٦

(٤) رواه الدارمى فى كتاب الحدود ، باب : رُفع القلم عن ثلاثة ، جـ ٢ ص ١٧١

(٥) رواه البخارى فى كتاب الصلاة ، باب : المسجد يكون فى الطريق من غير ضرر ، جـ ١ ص ١٢

(٦) رواه مسلم فى كتاب الحدود ، الحديث ٢٣ ، جـ ٢ ص ٢٣٢٣

(٧) رواه الدارمى فى كتاب الحدود ، باب : رُفع القلم عن ثلاثة ، جـ ٢ ص ١٧١

(جـ) فقد الوعى كالنوم والمرض الذى قد يشل التفكير .

عن محمد بن المنكدر قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : « دخل علىّ رسول الله ﷺ وأنا مريض لا أعقل ، فتوضأ فصبُّوا علىّ من وضوئه ، فعقلت » [١] .

وعن عائشة عن النبى ﷺ قال : « رُفِعَ القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ... وعن المجنون حتى يعقل » ، وفى رواية : « وعن المعتوه حتى يعقل » [٢].

(د) النسيان الذى يعنى ضعف الذاكرة والحافظة :

عن أبى سعيد الخدرى قال : خرج رسول الله ﷺ فى أضحى - أو فطر - إلى المُصلّى ، فمر على النساء فقال : « يا معشر النساء ؛ تصدقن فإنى رأيتُكن أكثر أهل النار » فقلن : وبمَ يا رسول الله ؟ قال : « تُكثرن اللّعن ، وتَكْفُرن العشير ، ما رأيتُ من ناقصات عقل ودين أذهب للُب الرجل الحازم من إحداكن » ، قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله قال : « أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل » ؟ قلن : بلى . قال : « فذلك من نقصان عقلها ، أليس إذا حاضت لم تُصَلِّ ، ولم تصم »؟ قلن : بلى . قال : « فذلك نقصان دينها » [٣].

ولقد جاء تعليل شهادة المرأة نصف شهادة الرجل فى القرآن الكريم بما يرجع إلى الذاكرة والحافظة [٤] .

قال تعالى : ﴿ ... وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِنْ رِّجَالِكُمْ ، فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ ... ﴾ [٥] .

* * *

(١) رواه مسلم فى كتاب الفرائض ، حديث ٨ ، جـ ٣ ص ١٢٣٥

(٢) رواه الدارمى فى كتاب الحدود ، باب : رفع القلم عن ثلاثة جـ ٢ ص ١٧١

(٣) رواه البخارى فى كتاب الحيض ، باب : ترك الحائض الصوم ، جـ ١ ص ٧٨

(٤) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) جـ ١ ص ١٧٠

سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ١ ص ٣٣٦

(٥) البقرة : ٢٨٢